٦ - رحلة إلى الهنـــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

- ١ -

أعود إلى الحديث عن مدينة دهلى ، بعد أن ذكرت طرفاً من أخبار المؤتمر الآسيوى . دخلت دهلى وملء نفسى ما قرأت وسمعت من تاريخها وأحداثها وآثارها . ولم يسعف الزمان ولا الحال بإطالة المقام فيها والتردد فى نواحيها ، واستقصاء مشاهدها وآثارها . وإنما كانت جولات سريعة فى أرجائها . ووقفات قصيرة على بعض مشاهدها .

مدينة دهلى اليوم قسمان : دهلى الجديدة التى خططها الإنكليز على نظام حديث ، وجعلوا فيها دوراً للحكومة ومساكن لكبار الموظفين وهى مدينة واسعة الشوارع والحدائق يحيط بكل دار فيها حديقة كبيرة ، ودورها فى الأكثر ذات طبقة واحدة ، وفيها من الأبنية الفخمة الرائعة دار الحكومة ودار النيابة . ومسكن نائب الملك هناك وما يتصل به من أعظم الأبنية وأوسعها وأجلها ظاهراً وباطناً ...

وأما دهلى القديمة فهى على خط ٧٧° من الطول الشرقى و٢٨° من العرض الشمالى فهى تقارب عرض القاهرة ولكنها أشد منها حرًّا . وقد لقينا من حرّها فى شهرى مارس وأبريل أشد مما نجد فى القاهرة فى الصيف المعتاد .

وتقع دهلى فى الزاوية الجنوبية الشرقية من إقليم البنجاب على الضفة اليمنى لنهر جمنة . وكانت ألحقت بهذا الإقليم سنة ١٨٥٨ م . وهى اليوم فى ولاية منفصلة . ومن العجيب أن هذا الفصل بين دهلى والبنجاب يخرجها من دولة باكستان ، وهى المدينة التى بقيت زهاء ثمانية قرون حاضرة دول إسلامية ، وفيها من الآثار الإسلامية ما يصلها بتاريخ الإسلام دهوراً . وكثير من المدن التى تحفظ الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ليست داخلة فى الباكستان مثل أجْرا ولكهنو وأحمد آباد وعليكره .

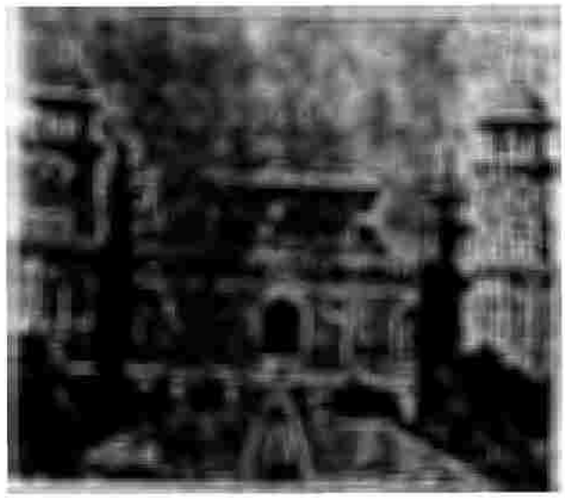

صورة مسجد الجمعة فى دهلى

ودهلى ذات تجارة واسعة ، وهى ملتقى طرق حديدية كثيرة وقد اتخذ الإنكليز من دهلى الجديدة وهى متصلة بالقديمة عاصمة للهند فى هذا القرن وكانت العاصمة كلكتا . ولكن دهلى ليست كبرى مدن الهند ؛ أكبر منها كلكتا وهى كبرى المدن الهندية ثم بمباى ولاهور .

- ٢ -

والبقعة التى تشمل دهلى الحاضرة وما حولها قامت فيها مدن عدة باسم دهلى فحول دهلى الحديثة أطلال ست مدائن سميت بهذا الاسم ، تنتشر فى خمسة وأربعين ميلا مربعاً .

وتاريخ المدينة الحاضرة يبدأ من القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أسسها الملك الكبير المعمّر الذى ترك فى الهند آثاراً لا تضارعها آثار فى الهند ولا غيرها ، شاهجهان ابن جهانكير بن أكبر بن همايون بن بابر . خامس الملوك العظام من هذه الأسرة العجيبة التى نشأت ستة ملوك كبار على نسق واحد سيطروا على الهند مائتى سنة وأورثوا أعقابهم دولة بقيت مائة وخمسين سنة أخرى .

بنى شاهجهان المدينة الحاضرة وسمّاها شاهجهان آباد وكان طولها على ضفة النهر ميلين ونصف .

ولا تزال قطع من أسوارها قائمة يجتاز السائر فى المدينة أبواباً فيها منها باب أجمير فى الجدار الغربى من السور وباب كشمير فى الجدار الشمالى وقد اجتزت هذا الباب كثيراً بين الفندق الذى نزلت به فى دهلى القديمة ومكان المؤتمر فى دهلى الجديدة ، ويرى خارج هذا الباب تمثال لأحد قواد الإنجليز ومدافع قديمة هى من بقايا الحروب التى شهدها هذا السور وآخرها ثورة سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) .

— ٣ —

وأعظم ما يرى السائر فى الجادة الكبيرة التى تخترق المدينة فى جانبها الغربى من الشمال إلى الجنوب بناءان عظيمان رائعان : المسجد الكبير الذى يسمى مسجد الجمعة (جمعة مسجد) والقلعة الحمراء (لال قلعة) منظران يفصلهما الطريق فيجتاز الطرف بينهما ، القلعة ذات الأسوار العالية والأبراج العظيمة والهندسة المحكمة الجميلة ، والجامع الكبير الرائع ذو القباب الثلاث البيضاء والمنارتين . وكلا البناءين الخالدين مبنى بالحجر الورد وهو يغلب فى أبنية السلاطين التيموريين ويجلب من أجرا . وهما نضيران لم تغيّر منهما الأحداث ، ولم تنل منهما الغِيَر ثبات الحق على كر العصور ، والمجد المؤثل على مرّ الدهور .

دخلت الجامع مغرب يوم الخميس ٢٦ ربيع الثانى (١٩ آذار) يوم بلغت دهلى . صحبنا إليه الصديق القديم السيد محمد الفاروقى فأدينا به صلاة المغرب ، ثم صلينا الجمعة التالية .

وهذا الجامع بناه شاهجهان بين سنتى ١٠٥٨ ، ١٠٦٠ هـ بعد أن بنى القلعة بسنتين وهو على ربوة تزيده جلالا ورفعة . له بابان كبيران أحدهما يقابل القبلة والثانى إلى يسار الداخل من الباب الأول . والمسجد كله شكل مستطيل طوله نحو ثمانين متراً وهو يزيد على عرضه قليلا . وصحنه فسيح جداً مستطيل فيه ثلاثة صفوف من عمد الرخام الأبيض وجدرانه مغشاة بالرخام كذلك وله محاريب أوسطها أكبرها . ومنبره درَج من الرخام قليلة . وكذلك المنابر التى رأيتها فى أجرا ولاهور ليس لها ما يُعهد فى البلاد العربية والتركية من الضخامة والارتفاع والحواجز على جانبى الدرج . والنقش والحِلَى .

وأما جمال النقش ، والانسجام بين الرخام الأبيض والأسود فى أرضه ، والحجر الأحمر والرمر الأبيض فى الجدران فلا أطيل الحديث فى تفصيله .

ويصعد إلى المسجد عند بابيه الكبيرين بدرج هائل لم أر نظيرها فى الطول . فهو يهبه مدرّجاً عظيما يتسع لآلاف الناس .

وإجمال الكلام أن هذا المسجد من أكبر مساجد المسلمين وأجلّها وأجلها ، وكان شاهجهان يؤدّى الصلاة فى مسجد فى القلعة ويخرج أحياناً ماشياً للصلاة فى هذا المسجد الكبير ولاسيما صلاة الجمعة

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

مطبعة الرسالة :

تقدم قريباً

فى ثوب جديد . . . وطبع فاخر . . . وإخراج فنى

الطبعة الجديدة

من المجلد الأول

من كتاب :

وحى الرسالة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات